



العلاقات (العربية الإفريقية) في كتابات الدكتور علي مزروعى*



أ.د. محمد عاشور

أستاذ العلوم السياسية - جامعة زايد، الإمارات

* هذا المقال: هو جزء منقّح ومزيد من مقال د. محمد عاشور: (العلاقات العربية الإفريقية في كتابات الرواد: دراسة تحليلية لبعض كتابات الأستاذين عبد الملك عودة وعلي مزروعى)، نُشر في العدد ٢٩ من مجلة البحوث والدراسات العربية، يوليو ١٩٩٨م

ففي نظراته للعلاقات (العربية الإفريقية)؛ ذهب علي مزروعى إلى أنّ هناك العديد من الركائز لهذه العلاقات، دينية ولغوية، اقتصادية واجتماعية، سياسية وتاريخية... إلخ، لكنها برغم وجهتها وقوتها لم تسفر عن تعاونٍ فعّال بين الجانبين بفعل مجموعة من القيود الجغرافية والتاريخية المفروضة على الجانبين من الخارج؛ على نحوٍ حَالٍ دون التفعيل الإيجابي للركائز.

أولاً: رؤية علي مزروعى لأسس العلاقات (العربية الإفريقية) وركائزها^(٢):

يرى علي مزروعى أنّ الروابط المشتركة بين العرب والأفارقة تمثل أساساً متيناً للعلاقات؛ إذا أحسن توظيف تلك الركائز.

وتأتي الروابط العقديّة الدينية في مقدمة تلك الروابط، فالإسلام في إفريقيا قديمٌ قَدِمَ وجوده في الجزيرة العربية؛ استناداً إلى حقيقة هجرة المسلمين الأولى من مكة إلى الحبشة فراراً بدينهم وطلباً للملجأ والملاذ^(٣)، كما أنّ الحفريات الأثرية في شرق إفريقيا تشير إلى وجود آثار لمساجد في تلك الأنحاء، يعود تاريخها إلى العقود الأولى للإسلام.

علاوة على هذا وذاك؛ فإنّ نسبة كبيرة من المسلمين تقطن قارة إفريقيا، حتى إنّ عدد المسلمين في نيجيريا يفوق عدد المسلمين في أي بلد عربي بما في ذلك مصر^(٤)، كما أنّ إفريقيا القارة الوحيدة في العالم التي يشكّل

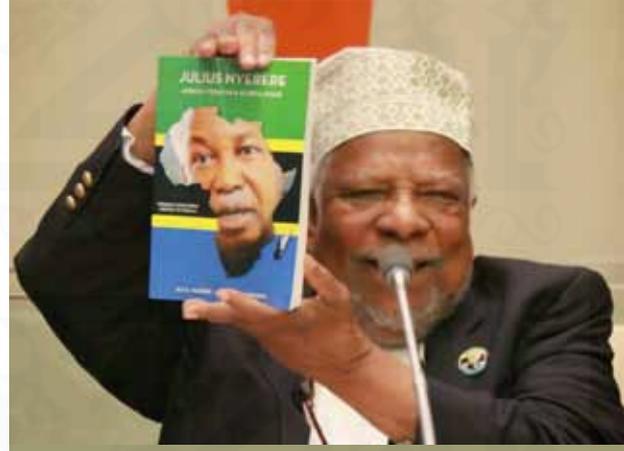
(٢) تم الاعتماد بصفة أساسية على المصادر الآتية:

Ali A. Mazrui, "Afrabia: Africa and the Arabs in the new world order", Fahamu, vol. xx., no. 111, 1992, pp 51:61

Ali Mazrui, "Afro-Arab crossfire: between the flames of terrorism and the force of Pax-Americana", Occasional Paper no.6, Development Policy Mangement Forum (DPMF): Addis Ababa, 2002

(٣) Ibid, p. 16

(٤) علي مزروعى - ترجمة صبحي قنصوه -: الأفروعربية: إفريقيا والإسلام والغرب، في: علي مزروعى - ترجمة صبحي قنصوه وآخرين -: قضايا فكرية: إفريقيا والإسلام والغرب، القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقي، ١٩٩٩م، ص (١٤٣ - ١٤٥).



يصعب القول بتخصّص العلامة

الموسوعي (علي مزروعى)

في العلاقات العربية الإفريقية، في ضوء محدودية كتاباته في هذا المجال مقارنة بكتابه في الشؤون الإفريقية والقضايا الإسلامية والحضارية والدولية الأخرى، ومع ذلك؛ فإنّ رؤيته للعلاقات (العربية الإفريقية) التي تضمّنتها ثانياً بعض كتاباته، وأشهرها مقال بعنوان: (أفربايا: العلاقات الإفريقية العربية في ظلّ النظام العالمي الجديد)^(١)، اتسمت بقدرٍ كبيرٍ من التشخيص الدقيق لركائز العلاقات العربية الإفريقية، وأسباب ضعفها برغم ضرورات تفعيل تلك العلاقات لصالح الطرفين (العربي والإفريقي).

(١) Ali A. Mazrui, "Afrabia: Africa and the Arabs in the new world order", Fahamu, vol. xx., no. 111, 1992, pp 51:61

وقد تمّت ترجمة هذا المقال في كتاب حمل عنوان: (إفريقيا والإسلام والغرب)، القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقي، ١٩٩٩م.

وعلى الصعيد الديموجرافي (السكاني)؛ أكد مزروعى في كتاباته أنّ المنطقة شهدت العديد من الهجرات والتحركات السكانية المتبادلة بين إفريقيا وشبه الجزيرة العربية خلال القرون الماضية، ويستشهد في ذلك بما كشفته البعثات العلمية من وجود شواهد على قيام مستوطنات عربية على الساحل الإفريقي الشرقي؛ قبل ظهور الإسلام وبعده - على نحو ما سلفت الإشارة - .

ويرى مزروعى أنّ وجود شخص مثل سيدنا (بلال الحبشي) - رضي الله عنه - في مكة المكرمة قبل بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم؛ هو نفسه دليل آخر على الوجود الإفريقي في مكة والمدينة قبل ظهور الإسلام^(٤).

وقد أسفر التواصل (العربي الإفريقي) عبر تلك الهجرات - وما صاحبها من تفاعل وتصاهر - عن وجود مجتمعات إثنية وعرقية جديدة، كالجماعات (الكوشية)، ومثالها الشعب الصومالي، كما أنّ الإمارات التي قامت باليمن وعمان أدت دوراً جوهرياً على صعيد تلك التفاعلات وما ترتب عليها من آثار، وفي هذا الشأن يرى مزروعى أنّ سلطنة عُمان بلد ذو أهمية مركزية في التاريخ الحديث؛ فيما يتصل بصنع التراث السواحلي وفهمه^(٥).

ثانياً: قيود العلاقات (العربية الإفريقية)

من وجهة نظر علي مزروعى:

يقصد بقيود العلاقات: مجموعة العوامل والاعتبارات التي يرى علي مزروعى أنها تحدّ وتعرقل إمكانيات التعاون (العربي الإفريقي)، وهي في مجملها - من وجهة نظره - تتعلق باعتبارات خارجية جيولوجية، وعوامل مشتركة تاريخية، وأخرى داخلية متعلقة بكلّ طرف من أطراف العلاقة، ألقت بظلالها سلباً على علاقات الطرفين.

(التعريف الجغرافي) لقارة إفريقيا يمثل أول قيود العلاقة بين العرب وإفريقيا وأقدمها - من وجهة نظر مزروعى -، فالقول بأنّ إفريقيا هي تلك الكتلة الأرضية الممتدة من المحيط الأطلنطي غرباً حتى البحر الأحمر

المسلمون فيها الغالبية المطلقة من السكان، وينتشر فيها الإسلام بمعدلات كبيرة، بما يجعل من الإسلام عنصرَ توحيد بين إفريقيا والعالم العربي^(١).

ولا تقل الروابط اللغوية في العلاقات العربية الإفريقية أهمية عن الروابط الدينية، بل يرى مزروعى أنّ الروابط اللغوية أقدم زمنياً من الروابط العقدية الدينية، فاسم القارة (إفريقيا)، الذي توجد أصوله في لغة البربر، استُخدم للإشارة إلى ما يُعرف الآن بدولة (تونس)، فكانّ القارة قد أخذت مُسمّاهَا من الشمال الإفريقي أو ما يُطلق عليه حالياً (إفريقيا العربية)^(٢).

كما أنّ اللغة العربية واللغة الأمهرية، على سبيل المثال، كلتيهما من اللغات السامية، حتى إنّ المؤرخين منقسمون حول ما إذا كانت اللغات السامية ظهرت أولاً في إفريقيا ثم انتقلت إلى الجزيرة العربية، أو نشأت في الأخيرة واتخذت سبيلها إلى إفريقيا عبر البحر الأحمر في مرحلة لاحقة، وأياً ما كان الأمر فإنّ الواقع يشير إلى أنّ اللغة العربية ما زالت هي اللغة التي يتحدث بها أكبر عدد من سكان القارة الإفريقية، علاوة على تأثيرها الجلي في العديد من اللغات المحلية في إفريقيا، وفي مقدمتها اللغة السواحلية في شرق إفريقيا، ولغة الهوسا في غربها^(٣).

(١) لمزيد حول تلك الفكرة، انظر:

Ahmed Ali Salem, The Islamic Heritage of Mazruiana, (in) Parviz Morewedge (ed.), The Thought and Experience: A Bibliographical Festschrift in Honor of Ali Mazrui (Binghamton, NY: Institute of Global cultural Studies, 2001), pp 63:101.

(٢) ناقش علي مزروعى في كتابه (الأفارقة: المبررات الثلاثي) أصل كلمة (إفريقيا) متتبّعاً الآراء الخاصة بأصولها في اللغات المختلفة، لا سيما اللغة البربرية واليونانية واللاتينية القديمة، ويخلص إلى أنّ الراجح - من وجهة نظره - أنّ أصل الكلمة قد يكون لاتينياً من اللفظة Aprica بمعنى (شمس)، وربما كان يونانياً من لفظة Aprike بمعنى (لا برد)، ويعتقد مزروعى أنّ العرب قد قاموا بتعريب اللفظ بعد ذلك إلى (إفريقيا) بدلاً من (أفريكا)، وأنّ - أيضاً - كان مصدر الاسم - الأصلين ارتباطاً بالشمال الإفريقي، وأسهما في تعيين هوية القارة ككل. انظر: Ali A. Mazrui, The Africans: a triple heritage . London: BBC publications, 1986, p 25.

(٣) Ibid., p23 Mazrui, Afrabia..., op.cit, p. 54

(٤) علي مزروعى، مرجع سابق، ص (١٤٤ - ١٤٥).

(٥) السابق، ص ١٤٤.

إفريقيا شمال الصحراء وجنوبها على أسس لونية وعرقية ودينية؛ ومحاولة انتزاع المناطق الشمالية من القارة (المطلّة على البحر المتوسط) من هويتها الإفريقية وضمّها إلى أوروبا؛ على نحو ما تشير التجربة الفرنسية في الجزائر^(٤).

وعلى الصعيد الثقافي؛ فإنّ أحد القبول الرئيسة التي تحول دون تفعيل التعاون (العربي الإفريقي) - من وجهة نظر علي مزروعي - هي مدى تقبّل العرب بصفة عامّة، وعرب شبه الجزيرة بصفة خاصّة، الانتماء إلى إفريقيا والتعاون معها في ظلّ واقع إفريقيا والصور الذهنية عنها^(٥).

ومن الناحية السياسية؛ فإنّ الخلافات (العربية العربية)، والانقسامات الإقليمية المترتبة على تلك الاختلافات، تمثّل دورها قياداً آخر على إمكانيات التعاون (العربي الإفريقي)، لتباين الموقف العربي وانقسامه بشأن الأولويات، وتزداد خطورة ذلك القيد وتبعياته بفعل التوترات الداخلية الدينية والسياسية... في العديد من الدول الإفريقية والعربية؛ من جرّاء الممارسات التعسفية لأنظمة الحكم، والنزاعات الانفصالية لبعض الجماعات بها، والتي أدت في مجملها إلى التركيز في القضايا المحلية في كلّ بلد على حدة؛ أكثر من التركيز في القضايا المشتركة التي تصبّ في صالح الطرفين^(٦).

وقيام تعاون (عربي إفريقي) جادّ يحتاج إلى تكافؤ اقتصادي بين الطرفين، فتدهور الوضع الاقتصادي لإفريقيا خلال حقبة التسعينيات من القرن العشرين مثل - من وجهة نظر مزروعي - قياداً إضافياً على صعيد إمكانيات التعاون بين القارة الإفريقية والعرب؛ لما رسّخه من صورة نمطية لعلاقات الجانبين، بوصفها علاقة بين مانحين (العرب) ومتلقين المنح (إفريقيا)، وهو ما يؤدي بدوره إلى

شرفاً، ومن المحيط الأطلنطي جنوباً حتى البحر المتوسط شمالاً، إضافة إلى الجزر الواقعة في المياه المحيطة بالقارة شرقاً وغرباً، يتضمن من ناحية فصلاً تعسفياً لشبه الجزيرة العربية عن قارة إفريقيا، ويقود إلى مفارقة مؤداها أنه في حين يحدث ذلك الفصل التعسفي بين إفريقيا وشبه الجزيرة العربية؛ فإنه - أي التعريف - في المقابل يضمّ إلى إفريقيا جزراً تبعد عنها بنحو ألف ميل (جزيرة موريشيوس)، وخمسمائة ميل (جزيرة مدغشقر/ المالاجاش)، في حين أنّ اليمن لا يفصلها عن بعض سواحل شرق إفريقيا سوى مرمى حجر، ومع ذلك لا تُعتبر جزءاً من إفريقيا^(٧)!

ويلفت مزروعي النظر إلى ظاهرة قلماً يلتفت إليها أحد من الباحثين، وهي زيف حدود القارات، وفي مقدمتها حدود القارتين الإفريقية والآسيوية، فعلى كثرة ما كُتب عن زيف حدود الدول الإفريقية المعاصرة؛ فإنّ أحداً لم يول اهتماماً بمدى زيف حدود القارة نفسها، ويعجب مزروعي من قبول الجميع ذلك القيد الجيولوجي المُمثّل في (البحر الأحمر) كحدّ طبيعي مناسب لنهاية الحدود الشمالية الشرقية للقارة الإفريقية؛ على الرغم من تضافر العديد من الأدلة البيئية والثقافية والاجتماعية الاقتصادية لإثبات العكس^(٨).

ولبيان خطورة القيد الجيولوجي سالف الذكر؛ كشف مزروعي ببراعة كيف أثر ذلك القيد في مدركات البشر الثقافية على جانبي حدود القارة، و بروز مزاعم تجسّد الانفصال بين الجانبين؛ خصوصاً مع اكتمال ذلك الانفصال الجغرافي بعد حفر قناة السويس؛ حيث ذهب البعض إلى أنّ شمال إفريقيا ليس جزءاً من القارة؛ بدعوى أنه أقرب لشبه الجزيرة العربية وأكثر شبهاً بها^(٩).

ويمثّل التاريخ، لا سيما (التاريخ كما سطرته القوى الاستعمارية)، قياداً إضافياً، وعائقاً أمام جهود تطوير العلاقات (العربية الإفريقية)، بفعل المبالغة في الدور العربي في تجارة الرقيق في القارة، وعمليات التمييز بين

(٤) مزروعي، ص ١٥٢.

(٥) Mazrui, Afrabia..., op.cit, p.61.

(٦) جدير بالبيان: أنّ مزروعي قد تناول هذا القيد خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي متأثراً في ذلك بالصدع العربي الذي نجم عن الغزو العراقي للكويت وما ترتب عليه من تداعيات داخلية وإقليمية ودولية، وبرغم مرور أكثر من عشرين عاماً على ذلك الحدث؛ فإنّ التحليل ما زال له بريقه وصداه الواقعي في ضوء ما يشير واقع العالم العربي الراهن (٢٠١٤م).

(١) المرجع السابق، ص (١٤٧ - ١٤٨). أيضاً انظر: Mazrui, op.cit, pp ٢٨:٢٢.

(٢) Idem.

(٣) Ibid, p 32.

مزيد من الحساسية في العلاقة بين الجانبين^(١).

ثالثاً: ضرورات التعاون (العربي الإفريقي):

مع إدراكه صعوبة تفعيل التعاون (العربي الإفريقي) في ظل القيود سألفة البيان؛ أمن علي مزروعى بضرورة التعاون بين الجانبين في ظل ما أسماه: (الأبارتهايد العالمي)؛ حيث عايش مزروعى مرحلة تشكّل النظام العالمي الجديد، في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي وما تلاه من تداعيات، جرّاء ما أسماه علي مزروعى: التناسخ الإمبراطوري Imperial Reincarnation، والذي فيه تنتقل روح الإمبراطورية من مركز إلى آخر، وهو الأمر الذي رآه ينطبق على واقع السعي الأمريكي لبلورة (إمبراطورية أمريكية) لا تغيب عنها الشمس؛ تستبطن داخلها روح (الإمبراطورية البريطانية) في القرن الثامن عشر، في وقت قبلت فيه بريطانيا القيام بدور المعاون في تلك الإمبراطورية غير الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية^(٢).

فغولمة الإمبراطورية التي حاول البريطانيون في العصر الفيكتوري - تحقيقها بصورة رسمية؛ سعى الأمريكيان في القرن الحادي والعشرين إلى تحقيقها بصورة غير رسمية، وهي تسعى - ليس فقط للسيطرة على أراضي الدول والشعوب الأخرى وثرواتها، بل تسعى إلى السيطرة - أيضاً - على أفكارهم وثقافتهم ونظمهم؛ وذلك بفرض عقوبات على الخارجين عليها والمخالفين لها؛ الأمر الذي يشير من جانب خفي إلى استبدال ثنائية (التابعين - المخالفين) بثنائية (الغرب - الشرق) التي سقطت مع سقوط سور برلين وتفكك الاتحاد السوفييتي، وقد عبّر الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن عن ذلك صراحة في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؛ حينما دعا دول العالم إلى مساندة الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد ما أسمته (الإرهاب)، مؤكداً أنّ من لن يقف مع الولايات المتحدة يكون ضدها؛ هكذا حدث استنساخ للروح

الإمبراطورية الاستعمارية^(٣).

وإذا كانت كثيرٌ من دول العالم الثالث تشارك كلاً من المنطقتين (العربية والإفريقية) المعاناة، من جرّاء ذلك النمط الجديد من الهيمنة الإمبراطورية العالمية، فإنّ الشواهد تشير إلى أنّ المنطقتين عانتا بقدر أكبر من تلك الظاهرة، وقد تمثّلت الممارسات التمييزية ضد العرب في^(٤):

- السماح للكيان (الإسرائيلي) بامتلاك أسلحة نووية، والحيلولة دون ذلك - وما هو أقل منه - بالنسبة للدول العربية بكل السبل؛ بما في ذلك الاحتلال العسكري.
- تقديم الدعم المالي والفني لدعم قدرات (إسرائيل) العسكرية، والرقابة الصارمة على كل الأنشطة العسكرية للدول العربية، وعلى مساعيها للتعاون مع دول العالم المختلفة في هذا المجال.
- قرار رونالد ريغان بضرب طرابلس، في الثمانينيات من القرن الماضي، رداً على مزاعم ضلوع ليبيا في تفجير ملهى ليلي في ألمانيا؛ أسفر عن مقتل جنود أمريكيان.
- قرار كلينتون بقصف مصنع للأدوية في السودان؛ بزعم أنه مصنع أسلحة كيميوية.
- قرار بوش الأب بتوفير الوقت - لا الأرواح العربية - في حرب الخليج الثانية (١٩٩٠م - ١٩٩١م)؛ مفضلاً الإسراع بالحرب على منح مساعي الحلول السلمية مزيداً من الجهد والوقت.
- الممارسات الأمريكية الانتقامية في الصومال، وتسخير المنظمة الدولية لتسويق تلك الممارسات، وما ترتّب عليها من إزهاق آلاف أرواح المسلمين والعرب الأفارقة.
- قرار بوش الابن باحتلال العراق وتدمير قدراته العسكرية، وما صاحب ذلك من أعمال سلب ونهب طالت الأرواح البشرية والتراث الإنساني، ثم حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية - على نحو ما سلفت الإشارة إليه - وهي الممارسات التي تصاعدت في أعقاب أحداث ١١

(٣) نفسه.

(٤) راجع: 62-Ali A. Mazrui, Afrabia....., op.cit, pp 61
Ali Mazrui, Afro-Arab crossfire.... op.cit, pp 4:5

(١) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) انظر: محمد عاشور: التناسخ الإمبراطوري وضرورات التعاون العربي الإفريقي، بحث مقدم لندوة العلاقات العربية الإفريقية، سبها: جامعة سبها، ٢٠٠٥م.



انتشار الفقر والأمراض، وفي مقدمتها الإيدز الذي غلبت فيه الولايات المتحدة مصالح شركاتها الدوائية وأرباحها على قدرات الأفارقة وأرواحهم؛ حينما أصرت على تطبيق قواعد الملكية الفكرية بشأن الأدوية، وساندت مطالب شركاتها للحفاظ على الأسعار المرتفعة للدواء؛ بما يعني عدم قدرة دول العالم الثالث، وفي مقدمتها إفريقيا، على توفيره (قارن ذلك بالوضع الراهن فيما يتصل بموقف العالم من انتشار مرض الإيبولا في بعض دول غرب إفريقيا)^(٣).

سبتمبر ٢٠٠١م بدعوى (محاربة الإرهاب)، فامتدت إلى التضييق على العرب والمسلمين المقيمين في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، ومزيد من التجاوزات والممارسات الإسرائيلية ضد مقاومة الشعب الفلسطيني، وهي الممارسات التي بلغت في تمييزها وعنصريتها أنها لم توفر لضحاياها ما توفره لعنة المجرمين الدوليين من ضمانات شخصية وقانونية^(١)؛

أما الممارسات غير المشروعة في مواجهة السود بصفة عامة، والأفارقة بصفة خاصة، فإنه علاوة على ما سلف بيانه بالنسبة للصومال؛ يمكن الإشارة إلى ما يأتي^(٢):

- دعم الأنظمة الإفريقية القائمة برغم عدم كفاءتها؛ على الرغم من كل الشعارات المعلنة عن الديمقراطية والحكم الجيد، وهذا ما يعني إعلاء الغرب للمصالح السياسية على منظومة القيم المعلنة.
- مثالب التكيف الهيكلي تحت إشراف البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

- عدم عدالة أسعار السوق العالمية التي يشرف عليها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي؛ فيما يتصل بمنتجات الدول الإفريقية من المواد الأولية.
- عدم الجدية في معاونة الدول الإفريقية في مواجهة

(٣) من المفارقات أنه من بين ١٥٠٠ دواء تمّ التوصل إليه ما بين عامي (١٩٧٤م حتى ٢٠٠٤م) لم يزد عدد الأدوية الخاصة بأمراض المناطق الاستوائية عن عشرة أدوية، انظر: James Surowiecki, *Ebolanomics*, New York at 2014/8/magazine, 25 <http://www.newyorker.com/ebolanomics/25/08/magazine/2014>

ولمزيد حول الموضوع وما يكتنفه من صفقات وحسابات راجع مختصر الكتاب الآتي: Leonard G. Horowitz, *Emerging Viruses: Aids & Ebola Nature, Accident or Intentional?* At [http://www.ethosworld.com/library/Leonard-G.-Horowitz-Emerging-Viruses-AIDS-&-Ebola-Nature,-Accident-or-Intentional-\(1996\).pdf](http://www.ethosworld.com/library/Leonard-G.-Horowitz-Emerging-Viruses-AIDS-&-Ebola-Nature,-Accident-or-Intentional-(1996).pdf)

وانظر كذلك: Don't be scared, be angry: the politics andethics of Ebola. At [file:///D:/Users/z8567/Downloads/pdf.\(1\)20%hoo01191](file:///D:/Users/z8567/Downloads/pdf.(1)20%hoo01191)

(١) Mazrui, *Afro-Arab crossfire...*, op.cit, pp 5:6

(٢) راجع: علي مزروعى، مرجع سابق، ص ١٥٣.

انتزاع شبه الجزيرة العربية واستبعادها من قارة إفريقيا، وحال دون التحام شعوب شبه الجزيرة العربية بأقرانهم على الجانب الآخر من البحر الأحمر، وجعلهم جزءاً من غرب آسيا، على الرغم من أن ما يربط العرب بإفريقيا أكبر بكثير مما يربطهم بآسيا من ناحية.

وبرغم أن تلك التوصيفات الجغرافية التي قادت إلى ذلك كله هي نتاج توصيفات جغرافية تعسفية، ناجمة عن نزعة أوروبية متمركزة حول الذات، مثلها في ذلك - من وجهة نظر علي مزروعى - مثل اعتبار أوروبا تقع فوق إفريقيا على الخريطة وليس تحتها، وكذلك الحال في مسميات (الشرق الأوسط) و (الشرق الأقصى) التي بدورها تقوم في جوهرها على اعتبار أوروبا هي مركز الكون ومحوره، وما عداها يقاس عليها^(٤).

وللتحرر من القيود سألته البيان: يؤكد الدكتور علي مزروعى ضرورة التخلص من التعريفات والمسميات التي خلفتها السياسات الأوروبية بأبعادها ومستوياتها المختلفة، والبحث عن تعريف جديد لقارة إفريقيا، يجعل من شبه الجزيرة العربية جزءاً من القارة: الأمر الذي سوف يساعد بدرجة كبيرة على تجاوز مشكلة الهوية في دول الشمال الإفريقي، والتي تتعلق بسؤال الانتماء: إلى إفريقيا أم إلى عرب آسيا؟ فمثل هذا التساؤل لن يكون له محل في حالة انضمام شبه الجزيرة العربية إلى إفريقيا، علاوة على ما سيمثله ذلك الانضمام المكاني والسكاني من ثقل ودعم لقدرات الجانبين في ظل عالم يتأثر فيه الأفراد وإدراكهم لأنفسهم بطبيعة القارة والإقليم الذي ينتمون إليه ويرتبطون به، ومن هنا جاءت دعوة علي مزروعى إلى قيام وحدة جغرافية بين المنطقتين تحت ما يُعرف باسم (أفرايبا)^(٥)،

(٤) عالج مزروعى تلك الفكرة باستفاضة في كتابه (إفريقيا الميراث الثلاثي)، فتحت عنوان: (أين إفريقيا؟ العالم من منظور أوروبي) ناقش علي مزروعى دور أوروبا الفاعل في تحديد تعريف القارة الإفريقية بحدودها وعناصرها وأجناسها، وأثر التحيز الأوروبي في هذا المجال. للمزيد انظر: Mazrui, The Africans.... op.cit, pp23:28.

(٥) ترجمها البعض إلى (الأفروعرية)، إلا أن تلك الترجمة لا تعبر عن مراد علي مزروعى: لأنها - أي الأفروعرية - تشير إلى كيانين منفصلين، في حين أن غاية (أفرايبا) عند مزروعى هي انصهار النطاقيين معاً، ليشكلا معاً نطاقاً جديداً متميزاً. راجع: صبحي

• انتشار العنصرية في الدول الأوروبية تجاه السود، مع تزايد حدة التيارات اليمينية في الغرب بصفة عامة، والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، وتصاعد الحديث عن إبعاد المهاجرين وذوي الأصول غير الغربية إلى بلدانهم^(١). وبطبيعة الحال؛ يمكن إضافة: تجاهل الحروب الأهلية الدامية التي شهدتها العديد من الدول الإفريقية، وكان أخطرها أثراً الحرب الأهلية في رواندا، والتي أدى التراخي الدولي في التعامل معها إلى إزهاق أرواح مئات الألوف من أبناء الدولة.

حاصل ما تقدّم - من وجهة نظر علي مزروعى -: أن ثمة حاجة للتضامن (العربي الإفريقي) لمواجهة محاولات الهيمنة والتهميش من جانب العالم الغربي، والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة، مؤكداً أن خبرات مجتمعات ودول أخرى، تشير إلى إمكانية ذلك التقارب بين الجانبين برغم المعوقات سألته البيان: حيث يستشهد بالعلاقات (البريطانية الأمريكية) و (الأمريكية اليابانية) كنماذج لمصالحات تاريخية بين أطراف شهدت صراعات ومواجهات أكثر شراسة وضراوة بكثير مما عرفته العلاقات (العربية الإفريقية)، وأمكنها برغم ذلك تجاوز ذلك الميراث الصراعي إلى تعاون مشترك لصالح الطرفين^(٢)، وهو ما يراه مزروعى نافذة أمل لمصالحة تاريخية في العلاقات (العربية الإفريقية)، مدخلها - من وجهة نظره - العمل على تغيير مدركات الجانبين (العربي والإفريقي) فيما يتصل بتاريخ العلاقات ومضامينها^(٣).

رابعاً: سبل تفعيل العلاقات (العربية الإفريقية):

اتساقاً مع رؤيته الخاصة لأثر العامل الثقافي، وأولويته على الكثير من العوامل والمتغيرات، ذهب علي مزروعى إلى أن أولى خطوات تفعيل العلاقات (العربية الإفريقية) هي رأب الصدع الذي أحدثه التعسف الأوروبي عند رسم حدود القارة بجعلها تنتهي عند البحر الأحمر: الأمر الذي أدى إلى

(١) 6-Mazrui, Afro-Arab...., op.cit, pp 4

(٢) مزروعى، مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٣) نفسه.

والتي تتطلب - من وجهة نظره - إعادة تعريف القارة وحدودها؛ لعلاج ذلك التشوّه الحضاري الذي أحدثته التعريف الأوروبي لها^(١).

وللدلالة على أثر التصور الثقافي في الانتماء والتوجّه المكاني، وتأكيداً لمقترحه بشأن تجاوز الفجوة المكانية بين العرب والأفارقة بجسر ثقافي، يستشهد مزروعى بمثالين دالين في هذا الصدد:

أولهما: إثيوبيا هيلاسيلاسي: التي ظلت طويلاً - حتى الخمسينيات من القرن العشرين - مطرح نفسها دولة شرق أوسطية أكثر منها دولة إفريقية، إلا أنه مع تبني الإمبراطور الإثيوبي نفسه سياسة إعادة أفرقة إثيوبيا؛ فإنه سرعان ما تصاعد الإدراك الذاتي للشعب الإثيوبي بالانتماء لإفريقيا، وصارت مقرراً لمنظمة الوحدة الإفريقية (ومن بعدها الاتحاد الإفريقي)، وفعالاً إقليمياً رئيساً في قضايا القارة. والمثال الثاني: هو المثال المصري: حينما جعلت مصر الدائرة الإفريقية واحدة من الدوائر الرئيسة لحركة السياسة الخارجية، وأعدت اكتشاف ذاتها الإفريقية في الخمسينيات أيضاً من القرن العشرين.

فيذا كانت إثيوبيا ومصر قد استطاعتا - بدرجة أو بأخرى من النجاح - إعادة اكتشاف ذاتهما الإفريقيتين، فإنه تبقى الآمال قائمة بشأن إعادة النظر في هوية شبه الجزيرة العربية؛ خصوصاً أنّ جوانب التشابه الثقافي بين إثيوبيا وبقية القارة الإفريقية ليست أكثر - بحال من الأحوال - من التشابه الثقافي بين شمال إفريقيا وشبه الجزيرة العربية^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنّ علي مزروعى قد علّق آمالاً كبيرة على استكمال تحرّر جمهورية جنوب إفريقيا؛ باعتبار أنه سيدعم إمكانيات التفاعل بين الجانبين (العربي والإفريقي)، وسيحدث قدراً من التوازن في العلاقة بين

الجانبين (العربي والإفريقي)؛ وتغير الصورة النمطية للعلاقة ما بين مانحٍ وملتقٍ، في ظل الإمكانيات الاقتصادية والتكنولوجية لجمهورية جنوب إفريقيا^(٣).

خاتمة:

لا شك أنّ مزروعى كان سبّاقاً في العديد من الرؤى والخلاصات التي توصل إليها في علاقات (الشمال والجنوب) وعلاقات (الجنوب والجنوب)، والتي تندرج في إطارها العلاقات (العربية الإفريقية).

وكان محقاً في البحث عن مدخل ثقافي يتجاوز به الفالق الجيولوجي الفاصل بين إقليم القارة الإفريقية وامتداده الطبيعي في شبه الجزيرة العربية، إلا أنّ مجريات الأحداث على الساحة الإفريقية خلال العقدين الماضيين، وعلى الساحة العربية خلال السنوات الماضية، تشير بدورها إلى حقيقة مقابلة، وهي أنّ ما يُعدّ في نظر البعض من الركائز والفرص وضرورات للعلاقات؛ قد يوظفه آخرون في الاتجاه المضاد؛ بالتوقف عند الجوانب المظلمة في تلك الركائز وتضخيمها، ولا أدلّ على ذلك من العبث بالفوارق الدينية والاقتصادية والعرقية والحضارية... داخل المنطقتين وبينهما لإثارة النزاعات الداخلية والبيئية.

وعليه؛ فإنه لا يكفي توفر تلك الركائز والضرورات لقيام علاقات إيجابية فاعلة بين الجانبين؛ بل يتعين العمل - قبل ذلك ومع - على بلورة وعي مشترك بالجوانب الإيجابية للتعاون، وما لم يتم ذلك؛ فسيظلّ كل طرف ينظر للطرف الآخر بما توفر له من عدسات خارجية (غربية بالأساس) أو تاريخية (جامدة غالباً)؛ لن تنفق بالضرورة ومصالح الطرفين... وهنا نساءل مع العلامة علي مزروعى: هل يرتقّ الوعي الثقافي ما مزقته الجيولوجيا والأهواء

الضيقة؟! ■

قتصوه: قضية الهوية وأثرها على الإدراك الإفريقي للعالم العربي، بحث مقدّم إلى ندوة العلاقات العربية الإفريقية، القاهرة: المركز العربي الإفريقي للدراسات والبحوث، ١٩٩٨م، ص ٣١.

(١) Mazrui, Afrabia..., op.cit, p 61, Mazrui, The Africans..., op.cit, p 29

(٢) Ibid, p 38

(٣) علي مزروعى، مرجع سابق، ص (١٥٤، ١٥٦).